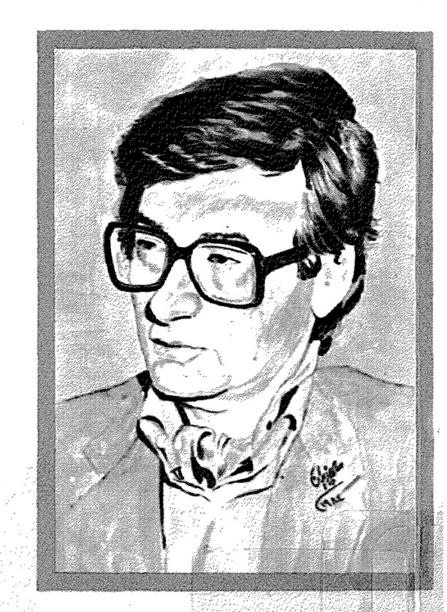


محمود درويش

حبيبتي تنهض من نومها

دار العودة . بيروت

محمود درويش

حبيبتي تنهض من نومها

دار العودة - بيروت

الطبعة السابعة ١٩٨٤

يطلب من دار العودة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس LE ٢٣٦٨٢ AWDA

حبيبتي تنهض من نومها

طفولتي تأخذ ، في كفّها ،
زينتها من كل شيء ..
ولا ..
تنمو مع الريح سوى الذاكره
لو أحصتِ الغيم الذي كدّسوا
على إطار الصورة الفاترة
لكان أسبوعاً من الكبرياء

وكل عام قبله ساقط
ومستعار من إناء المساء . .
يومَ تدحرجتُ على كل باب
مستسلماً للعالم المشغول
أصابعي تزفر : لا تقذفوا
فتات يومي للطريق الطويل
بطاقةُ التشريد في قبضتي
زيتونة سوداء ،
وهذا الوطن
مقصلة أعبدُ سكّينها
إن تذبحوني ، لا يقول الزمن

رأيتكم !
وكالة الغوث لا
تسأل عن تاريخ موتي ، ولا
تغيّر الغابة زيتونها ،
لا تسقط الأشهر تشرينها ! .

*

طفولتي تأخذ ، في كفها ،
زينتها من أي يوم ،
ولا . .

تنمو مع الريح سوى الذاكره
وإنني أذكر مرآتها
في أول الأيام ، حين اكتسى
جبينها بالبرق ، لكنني
أضطهد الذكرى ، لأن المسا
يضطهد القلب على بابه ..
أصابعي أهديتُها كلها
إلى شعاع ضاع في نومها
وعندما تخرج من حلمها
حبيبتي .. أعرف درب النهار

أشق درب النهار .

*

كلُّ نساء اللغة الصافيه
حبيبتي ..
حين يجيء الربيع
الوردُ منفيّ على صدرها
من كل حوض ، حالماً بالرجوع
ولم أزل في جسمها ضائعاً
كنكهه الأرض التي لا تضيع

كل نساء اللغة الداميه
حبيبتي ..
أقمارها في السماء
والورد محروق على صدرها
بشهوة الموت ، لأن المساء
عصفورة في معطف الفاتحين
ولم أزل في ذهنها غائباً
يحضرها في كل موت وحين ..

كل نساء اللغة النائمه
حبيبتي ..

تحلمُ أنَّ النهار
على رصيف الليلة الآتيه
يشرب ظل الليل والانكسار
من شَرَف الجنديّ والزانيه
تحلم أن المارد المستعار
من نومنا ، أكذوبة فانيه
وأن زنزانتنا ، لا جدار
لها ، وان الحلم طين ونار

كل نساء اللغة الضائعه
حبيبتي ..

فتّشتُ عنها العيون
فلم أجدها .
لم أجد في الشجر
خضرتها . .
فتّشتُ عنها السجون
فلم أجد إلاّ فتات القمر
فتّشتُ جلدي . .
لم أجد نبضها
ولم أجدها في هدير السكون
ولم أجدها في لغات البشر

*

حبيبةَ كل الزنابق والمفرداتْ
لماذا تموتين قبلي
بعيداً عن الموت والذكريات
وعن دار أهلي ؟ . .
لماذا تموتين قبل طلاق النهار
من الليل . .
قبل سقوط الجدار
لـــماذا ؟

لكلِ مناسبة لفظةٌ ،
ولكن موتك كان مفاجأة للكلام

وكان مكافأة للمنافي
وجائزة للظلام
فمن أين اكتشف اللفظة اللائقهْ
بزنبقة الصاعقهْ ؟

سأستحلفُ الشمس أن ترجّل
لتشربني عن كَثبْ ..
وتفتح أسرارها ..
سأستحلف الليل أن يتنصل
من الخنجر الملتهب

ويكشف أوراقه للمغنّي .

تفاصيل تلك الدقائق
كانت . .
عناوين موت معادْ
وأسماء تلك الشوارع
كانت . .
وصايا نبي يُباد .
ولكنني جئت من طرف السنة الماضية

بلا تذكره ..
ألا تفتحين شبابيك يوم جديد
بعيد عن المقبرهْ ؟ ! .

لأبطالنا ، أنشد المنشدون
وكانوا حجاره
وكانوا يريدون أن يرصفوا
بلاطاً لساحاتنا
وصمتاً ، لأن السكوت طهارهْ
إذا ازدحم المنشدون
ويبدو لنا حين نطرق باب الحبيب

بأن الجدار وترْ
ويبدو لنا أنه لن يَغيب
سوى ليلة الموت ، عنّا
ولكننا ننتظر
ألا تقفزين من الأبجديهْ
إلينا ، ألا تقفزين ؟
فبعد ليالي المطر
ستشرع أمّتُنا في البكاء
على بطل القادسيهْ ! . .

أسجلُ دقات قلبك فوق الجفون

وأعصب بالريح حلقي
إذا كثُر النائمون ..
ومن ليل كلّ السجون
أصيح :
أعيدوا لنا بيتها
أعيدوا لنا صمتها
أعيدوا لنا موتَها ..

عيناك ، يا معبودتي ، هجرةٌ

بين ليالي المجد والانكسار
شرَّدني رمشُكِ في لحظة
ثم دعاني لاكتشاف النهار .
عشرون سكّيناً على رقبتي
ولم تزل حقيقتي تائهه
وجئت يا معبودتي
كلُّ حلمْ
يسألني عن عودة الآلهه
– ترى ! رأيت الشمس
في ذات يوم ؟
– رأيتها ذابلة .. تافهه

في عَربات السبي كنا ، ولم
تمطر علينا الشمس إلاّ النعاس
كان حبيبي طيباً ، عندما
ودعني . . .
كانت أغانينا حواس .

عيناك ، يا معبودتي ، منفى
نفيتُ أحلامي وأعيادي
حين التقينا ، فيهما ! .
من يشتري تاريخ أجدادي ؟

من يشتري نار الجروح التي
تصهر أصفادي ؟
من يشتري الحب الذي بيننا ؟
من يشتري موعدنا الآتي ؟
من يشتري صوتي ومرآتي ؟
من يشتري تاريخ أجدادي
بيوم حريّهْ ؟..
– معبودتي ! ماذا يقول الصدى
ماذا تقول الريح للوادي ؟
– كن طيّباً .
كن مُشرقاً كالردى

وكن جديراً بالجناح الذي
يحمل أولادي ..
ما لون عينيها ؟
يقول المساء :
أخضرُ مرتاحَ
على خريف غامض .. كالغناء
والرمشُ مفتاحُ
لما يريد القلب أن يسمعه .
كانت أغانينا سجالاً هناك
على جدار النار والزوبعهْ
– هل التقينا في جميع الفصول ؟

ـ كنا صغيرين . وكان الذبول
سيّدنا
ـ هل نحن عشب الحقول
أم نحن وجهان على الأمس ؟
ـ الشمس كانت تحتسي ظِلّنا
ولم نغادر قبضة الشمسِ
ـ كيف اعترفنا بالصليب الذي
يحملنا في ساحة النور
ـ لم نتكلم .
نحن لم نعترف
إلاّ بألفاظ المسامير ! .

عيناك ، يا معبودتي ، عودة
من موتنا الضائع تحت الحصار
كأنني ألقاك هذا المساء
للمرة الأولى ..
وما بيننا
إلا بدايات . ونهر الدماء
كأنه لم يغسل الجيلا .
أسطورتي تسقط من قبضتي
حجارة تخدش وجه الموت
والزنبق اليابس في جبهتي
يعرف جو البيت ..

– من يرقص الليلة في المهرجان
– أطفالنا الآتون
– من يذكر النسيان ؟
– أطفالنا الآتون
– من يضفر الأحزان
إكليل ورد في جبين الزمان ؟
– أطفالنا الآتون
– من يضع السكّر في الألوان
– أطفالنا الآتون
– ونحن ، يا معبودتي ،
أي دور

نأخذه في فرحة المهرجان
– نموت مسرورين
في ضوء موسيقى
أطفالنا الآتين !..

أنا آتٍ إلى ظل عينيك

انا آتٍ إلى ظلِّ عينيك . . آتٍ
من خيامِ الزمان البعيد ، ومن لمعان السلاسلْ
أنتِ كل النساء اللواتي
ماتَ أزواجهن . وكل الثواكل
أنتِ
أنتِ العيون التي فرَّ منها الصباح
حين صارت أغاني البلابل

ورقاً يابساً في مهبِّ الرياح !
أنا آتٍ إلى ظلِّ عينيك .. آتٍ
من جلودِ تحاكُ السجاجيد منها .. ومن حدقاتٍ
عُلِّقَت فوق جيد الأميرة عقداً .
أنتِ بيتي ومنفاي .. أنتِ
أنتِ أرضي التي دمّرتني
أنت أرضي التي حوّلتني سماء ..
وأنتِ ..
كل ما قيل عنك ارتجال وكذبهْ !

لستِ سمراءَ ،

لستِ غزالاً .

ولست الندى والنبيذ ،

ولستِ

كوكباً طالعاً من كتاب الأغاني القديمه

عندما ارتجَّ صوت المغنين .. كنتِ

لغة الدم حين تصير الشوارع غابه

وتصير العيون زجاجاً

ويصير الحنين جريمه .

لا تموتي على شُرُفات الكآبه

كُلُّ لون على شفتيك احتفالْ

بالليالي التي انصرمت .. بالنهار الذي سوف.

اجعلي رقبتي عتباتِ التحول ..
أولَ سطر بسِفْر الجبال
الجبالِ التي أصبحتَ سُلّماً نحو موتي !
والسياطُ التي احترقت فوق ظهري وظهرك
سوف تبقى سؤال :
أين سمسار كل المنابر ؟
أين الذي كان .. كان يلوك حجارة قبري وقبرك .
ما الذي يجعل الكلمات عرايا ؟
ما الذي يجعل الريح شوكاً ، وفحم الليالي مرايا ؟
ما الذي ينزع الجلد عني .. ويثقب عظمي ؟
ما الذي يجعل القلب مثل القذيفهْ ؟

وضلوع المغنّين ساريةً للبيارقْ ؟
ما الذي يفرش النار تحت سرير الخليفهْ
ما الذي يجعل الشفتين صواعق ؟
غير حزن المصفّد حين يرى
أخته .. أمه .. حبه
لعبةً بين أيدي الجنود
وبين سماسرة الخُطب الحاميهْ
فيعض القيود .. ويأتي
إلى الموت .. يأتي
إلى ظلّ عينيك .. يأتي !
أنا آتٍ إلى ظلّ عينيك .. آتِ

من كتاب الكلام المحنط فوق الشفاه المعاده
أكلتْ فرسي ، في الطريق ، جراده
مزَّقتْ جبهتي ، في الطريق ، سحابه
صلبتني على الطريق ذبابه !
فاغفري لي ..
كل هذا الهوان .. اغفري لي
انتمائي إلى هامش يحترق !
واغفري لي قرابه
ربطتني بزوبعة في كؤوس الورق
واجعليني شهيد الدفاع
عن العشب

والحب
والسخرية
عن غبار الشوارع أو عن غبار الشجر
عن عيون النساء ، جميع النساء
وعن حركات الحجر .
واجعلني أحب الصليب الذي لا يُحبْ
واجعلني بريقاً صغيراً بعينيك
حين ينام اللهب !

أنا آتٍ إلى ظلِّ عينيك .. آتِ
مثلَ نسرٍ يبيعون ريشَ جناحهْ

ويبيعون نار جراحه
بقناع . وباعوا الوطن
بعصا يكسرون بها كلمات المغني .
وقالوا : اذبحوا واذبحوا ..
ثم قالوا : هي الحرب ، كرّ وفرّ ..
ثم فروا ..
وفروا ..
وفروا ..
وتباهوا .. تباهوا ..
أوسعوهم هجاء وشتماً ، وأودوا بكل الوطن ! .

حين كانت يداي السياج ، وكنتِ حديقه
لعبوا النرد تحت ظلال النعاسِ
حين كانت سياط جهنم تشرب جلدي
شربوا الخمر نخب انتصار الكراسي ! .
حين مرت طوابير فرسانهم في المرايا
ساومونا على بيت شِعر ، وقالوا :
ألهبوا الخيل . كل السبايا
أقبلتْ أقبلتْ من خيام المنافي
كذبوا ! لم يكن جرحنا غير منبر
للذي باعه . . باع حطين . . باع السيوف ليبني منبر
نحو مجد الكراسي ! .

أنا آتٍ إلى ظلّ عينيك .. آتِ
من غبارِ الأكاذيب .. آتِ
من قشور الأساطير آتِ
أنت لي .. أنت حزني وأنتِ الفرح
أنتِ جرحي وقوسِ قزح
أنتِ قيدي وحريّتي
أنتِ طيني وأسطورتي
أنتِ لي .. أنتِ لي .. بجراحكْ
كل جرح حديقهْ !.
أنت لي .. أنت لي .. بنواحك
كل صوت حقيقهْ .

أنت شمسي التي تنطفىء
أنتِ ليلي الذي يشتعل
أنتَ موتي ، وأنت حياتي
وسآتي إلى ظلّ عينيك .. آتِ !
وردةً أزهرت في شفاه الصواعق
قبلةً أينعت في دخان الحرائق
فاذكريني .. إذا ما رسمت القمر
فوق وجهي ، وفوق جذوع الشجر
مثلما تذكرين المطر
وكما تذكرين الحصى والحديقهْ
واذكريني ،

كما تذكرين العناوين في فهرس الشهداء
أنا صادقتُ أحذية الصّبية الضعفاء
أنا قاومتُ كُل عروش القياصرة الأقوياء
لم أبع مهرتي في مزاد الشعار المساوم
لم أذق خبز نائم
لم أساوم
لم أدق الطبول لعرس الجماجم
وأنا ضائع فيك بين المراثي وبين الملاحم
بين شمسي وبين الدم المستباح
جئت عينيك حين تجمّد ظلي
والأغاني اشتهت قاتليها ! .

كتابة على ضوء بندقية

شوليت انتظرتْ صاحبها في مدخل البار ،
من الناحية الأخرى يمر العاشقون ،
ونجوم السينما يبتسمون .
ألف إعلان يقول :
نحن لن نخرج من خارطة الأجداد ،

لن نترك شبراً واحداً للاجئين .

*

شوليت انكسرت في ساعة الحائط ،
عشرين دقيقه
وقفتْ ، وانتظرت صاحبها
في مدخل البار ، وما جاء إليها .
قال في مكتوبه أمس :
« لقد أحرزت ، يا شولا ، وساماً وإجازه
احجزي مقعدنا السابق في البار ،

أنا عطشان ، يا شولا : لكأس «وشفه»
قد تنازلتُ عن الموت الذي يورثني المجد
لكي أحبو كطفل فوق رمل الأرصفه
ولكي أرقص في البار » . . .
من الناحية الأخرى ،
يمر الأصدقاء
عرفوا شولا على شاطىء عكا
قبل عامين ، وكانوا
يأكلون الذرة الصفراء . .
كانوا مسرعين

كعصافير المساء ..

شوليت انكسرت في ساعة الحائط
خمسين دقيقه
وقفت ، وانتظرت صاحبها
شوليت استنشقت رائحة الحروب من بدلته

كان يأتي ، آخر الأسبوع كالطفل إليها
يتباهى بمدى الشوق الذي يحمله

قال لها : صحراء سيناء أضافت سبباً
يجعله يسقط كالعصفور في بللور نهديها
وقال :
ليتني أمتد كالشمس وكالرمل على جسمك ،
نصفي قاتل والنصف مقتول ،
وزهر البرتقال
جيّدٌ في البيت والنزهة ، والعيدُ الذي
أطلبه
من فخذك الشائع في لحمي .. مميتٌ
في ميادين القتال ! .

وأحستْ كفه تفترس الخصر ،
فصاحتْ : لستَ في الجبهة .
قال : مهنتي !
قالت له : لكنني صاحبتك .
قال : من يحترف القتل هناك
يقتل الحب هنا .
وارتمى في حضنها اللاهث موسيقى ؛
وغنّى لغيوم فوق أشجار أريحا . .
يا أريحا ! أنت في الحلم وفي اليقظة
ضدان ،
وفي الحلم وفي اليقظة حاربتُ هناك

وأنا بينهما مزّقت توراتي
وعذبتُ المسيحا ..
يا أريحا ! أوقفي شمسك . إنّا قادمون
نوقف الريح على حد السكاكين ،
إذا شئنا ، وندعوك إلى مائدة القائد ،
إنّا قادمون ..

وأحسّت يده تشرب كفّيها . وقال
عندما كان الندى يغسل وجهين بعيدين

عن الضوء : أنا المقتولُ والقاتل
لكنَّ الجريدهْ
وطقوس الاحتفال
تقتضي أن أسجن الكذبة في الصدر ،
وفي عينيك ، يا شولا ؛ وأن أمسح رشّاشي
بمسحوق عقيدهْ !
أغمضي عينيك لن أقوى على رؤية
عشرين ضحية
فيهما ، تستيقظ الآن . وقد كنت بعيدهْ
لم أُفكّرْ بكِ . . لم أخجل من الصمت الذي
يولد في ظل العيون العسليهْ .

وأصولُ الحرب لن تسمح أن أعشق
إلاّ البندقيّهْ ! . .

سألته شوليت :
ومتى نخرج من هذا الحصار ؟
قال ، والغيمة في حنجرته :
أي أنواع الحصار ؟
فأجابتْ : في صباح الغد تمضي ،
وأنا أشرح للجيران أن الوهلة الأولى

خداع للبصر ..
نحن لا ندفع هذا العَرق الأحمر ..
هذا الدم لا ندفعه ،
من أجل أن يزداد هذا الوطن الضاري ..
حجر .
قال : إنَّ الوقت مجنون ،
ولم يلتئم الليلة جسمانا
دعيني ..
أذُبِ الآن بجسم الكستنا والياسمين
أنت – يا سيدتي – فاكهتي الأولى .
وناما ..

وبكى في فرح الجسمين ، في عيدهما
لون القمر

*

شوليت استسلمت للذكرياتْ
كل روّاد المقاهي والملاهي شبعوا رقصاً
وفي الناحية الأخرى ، تدوخ الفتياتِ
بين أحضان الشباب المتعبين .
وعلى لائحة الإعلان يحتدُّ وزير الأمن :
لن نُرجع شبراً واحداً للاجئين . .

والفدائيون مجتثون . منذ الآن
لن يُخمش جندي . ومن مات
على تربة هذا الوطن الغالي
له الرحمة والمجد . . ورايات الوطن !

•

شوليت اكتشفت أنَّ أغاني الحرب
لا توصل صمت القلب والنجوى إلى
صاحبها
نحن في المذياع أبطال

وفي التابوت أطفال
وفي البيت صُوَرْ ..
– ليتهم لم يكتبوا أسماءنا
في الصفحة الأولى ،
فلن يُولدَ حيّ من خبر ..
– وعدوا موتك بالخلد ، بتمثال رخام
وعدوا موتك بالمجد ، ولكن رجال
الجنرال
سوف ينسونك في كل زحام
وسينسونك في كل احتفال ..

شوليت اكتشفت أن أغاني الحرب
لا توصل صمت القلب والنجوى إلى
صاحبها .
فجأة ، عادت بها الذكرى
إلى لذّتها الأولى ، إلى دنيا غريبهْ
صدّقتْ ما قال محمود لها قبل سنين
– كان محمود صديقاً طيّب القلب ،
خجولاً كان ، لا يطلب منها
غير أن تفهم أنّ اللاجئين
أمةٌ تشعر بالبرد ،
وبالشوق إلى أرض سليبهْ

وحبيباً صار فيما بعد ،
لكنّ الشبابيك التي يفتحها
في آخر الليل .. رهيبهْ
كان لا يغضبها ، لكنه كان يقول
كلمات توقع المنطق في الفخ .
إذا سرتَ إلى آخرها
ضقتَ ذرعاً بالأساطير التي تعبدها
وتمزّقتَ ، حياء ، من نواطير الحقول
صدّقتْ ما قال محمود لها قبل سنين
عندما عانقها ، في المرة الأولى بكتْ
من لذة الحب .. ومن جيرانها

كل قومياتنا قشرة موز ،
فكرَّتْ يوماً على ساعده .
وأنى سيمون يحميها من الحب القديم
ومن الكفر بقوميتها .
كان محمود سجيناً يومها
كانت الرملة فردوساً له . . كانت جحيم .
كانت الرقصة تُغريها بأن تَهلك في
الإيقاع ،
أن تنعس ، فيما بعد ، في صدر رحيم .
سكر الإيقاع . كانت وحدها في البار
لا يعرفها إلاّ الندم .

وأتى سيمون يدعوها إلى الرقص
فلبّتْ
كان جندياً وسيم
كان يحميها منِ الوحدة في البار ،
ويحميها من الحب القديم
ومن الكفر بقوميتها ..

شوليت انتظرتْ صاحبها في مدخل
البار القديم

شوليت انكسرت في ساعة الحائط
ساعات ..
وضاعت في شريط الأزمنه
شوليت انتظرت سيمون – لا بأس إذن
فليأت محمود .. أنا أنتظر الليلة عشرين سنة

كل أزهارك كانت دعوة للانتظار
ويداك الآن تلتفان حولي
مثل نهرين من الحنطة والشوك .
وعيناك حصار
وأنا أمتد من مدخل هذا البار

حتّى علّم الدولة ، حقلاً من شفاه دمويّة :
أين سيمون ومحمود ؟

من الناحية الأخرى
زهورٌ حجريّة .
ويمر الحارس الليلي ،
والإسفلتُ ليل آخر
يشربُ أضواء المصابيح ،
ولا تلمع إلاّ بندقيه . . .

يوميات جرح فلسطيني

— ١ —

نحن في حلٍّ من التذكار
فالكرمل فينا
وعلى أهدابنا عشب الجليلِ
لا تقولي : ليتنا نركض كالنهر إليها ،
لا تقولي !

نحن في لحم بلادي .. هي فينا !

— ٢ —

لم نكن قبلَ حزيرانَ كأفراخ الحمام
ولذا ، لم يتفتت حبنا بين السلاسلْ
نحن يا أختاه ، من عشرين عام
نحن لا نكتب أشعاراً ،
ولكنا نقاتل .

– ٣ –

ذلك الظل الذي يسقط في عينيك
شيطان إله
جاء من شهر حزيران
لكي يعصب بالشمس الجباه
انه لون شهيد
انه طعم صلاه
انه يقتل أو يحيي ،
وفي الحالين ! آه !

— ٤ —

أوَّلُ الليل على عينيك ، كان
في فؤادي ، قطرةً من آخر الليل الطويل
والذي يجمعنا ، الساعة ، في هذا المكان
شارعُ العودة
من عصر الذبول .

— ٥ —

صوتك الليلةَ ،

سكينٌ وجرحٌ وضمادٌ
ونعاس جاء من صمت الضحايا
أين أهلي ؟
خرجوا من خيمة المنفى ، وعادوا
مرة أخرى سبايا !

— ٦ —

كلمات الحب لم تصدأ ، ولكن الحبيبْ
واقعٌ في الأسر — يا حبي الذي حمّلني
شرفاتٍ خلعتها الريحُ ..

أعتابَ بيوت

وذنوب .

لم يسع قلبي سوى عينيك ،

في يوم من الأيام ،

والآن اغتنى بالوطنِ !

— ٧ —

وعرفنا ما الذي يجعل صوت القُبّره

خنجراً يلمع في وجه الغزاة

وعرفنا ما الذي يجعل صمت المقبره

مهرجاناً .. وبساتين حياة !

— ٨ —

عندما كنت تغنين ، رأيت الشرفات
تهجر الجدران
والساحة تمتد إلى خصر الجبل
لم نكن نسمع موسيقى ،
ولا نبصر لون الكلمات
كان في الغرفة مليون بطل !

— ٩ —

في دمي . من وجهه . صيفٌ
ونبض مستعارٌ .
عدتُ خجلان إلى البيت ،
فقد خرَّ على جرحي .. شهيدا
كان مأوى ليلة الميلاد :
كان الانتظار
وأنا أقطف من ذكراه .. عيدا !

— ١٠ —

الندى والنار عيناه ،

إذا ازددت اقتراباً منه غنى

وتبخرت على ساعده لحظة صمت ، وصلاه

آه سميه كما شئت شهيدا

غادر الكوخ فتى

ثم أتى ، لما أتى

وجه إله !

– ١١ –

هذه الأرض التي تمتصّ جلد الشهداءْ
تَعِدُ الصيف بقمح وكواكبْ
فاعبديها !
نحن في أحشائها ملح وماء
وعلى أحضانها جرح .. يحارب

– ١٢ –

دمعتي في الحلق ، يا أُخت ،

وفي عينيَّ نار
وتحررت من الشكوى على باب الخليفه
كل من ماتوا
ومن سوف يموتون على باب النهار
عانقوني ، صنعوا مني .. قذيفه !

— ١٣ —

منزل الأحباب مهجور ،
ويافا تُرجمتْ حتى النخاعْ
والتي تبحث عني

لم تجد مني سوى جبهتها
اتركي لي كل هذا الموت ، يا أخت .
اتركي هذا الضياع
فأنا أضفره نجماً على نكبتها

— ١٤ —

آه يا جرحي المكابر
وطني ليس حقيبه
وأنا لست مسافر
إنني العاشق والأرض حبيبهْ !

— ١٥ —

وإذا استرسلت في الذكرى !
نما في جبهتي عشب الندمْ
وتحسرت على شيء بعيدْ
وإذا إستسلمت للشوق ،
تَبَنَّيْتُ أساطير العبيد
وأنا آثرت أن أجعل من صوتي حصاة
ومن الصخر نغم !

— ١٦ —

جبهتي لا تحمل الظل ،

وظلي لا أراه
وأنا أبصق في الجرح الذي
لا يشعل الليل جباه !
خبئي الدمعة للعيد
فلن نبكي سوى من فرح
ولْنُسَمِّ الموت في الساحة
عرساً .. وحياه !

— ١٧ —

وترعرعتُ على الجرح ، وما قلت لأمي

ما الذي يجعلها في الليل خيمه
أنا ما ضيّعتُ ينبوعي وعنوانيَ واسمي
ولذا أبصرت في أسماها
مليون نجمه !

— ١٨ —

رايتي سوداءُ ،
والميناء تابوتٌ
وظهري قنطره
يا خريف العالم المنهار فينا

يا ربيع العالم المولود فينا
زهرتي حمراءُ ،
والميناء مفتوح ،
وقلبي شجره !

— ١٩ —

لغنّي صوت خرير الماء
في نهر الزوابعْ
ومرايا الشمس والحنطة
في ساحة حربٍ

ربما أخطأت في التعبير أحياناً
ولكن كنت — لا أخجل — رائع
عندما استبدلت بالقاموس قلبي !

— ٢٠ —

كان لا بد من الأعداء
كي نعرف أنا توأمان !
كان لا بد من الريح
لكي نسكن جذع السنديان !
ولو ان السيد المصلوب لم يكبر على عرش الصليب

ظل طفلاً ضائع الجرح .. جبان .

— ٢١ —

لكِ عندي كلمهْ
لم أقلها بعد ،
فالظل على الشرفة يحتل القمرْ
وبَلادي ملحمهْ
كنت فيها عازفاً .. صرت وترْ !

— ٢٢ —

عالِمُ الآثار مشغول بتحليل الحجاره
إنه يبحث عن عينيه في ردم الأساطير
لكي يثبت اني :
عابر في الدرب لا عينين لي !
لا حرف في سفر الحضاره !
وأنا أزرع أشجاري ، على مهلي ،
وعن حبي أغني !

— ٢٣ —

غيمة الصيف التي .. يحملها ظهر الهزيمه
عَلّقَتْ نسل السلاطين
على حبل السراب
وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمه
ها أنا ازددت التصاقاً .. بالتراب !

— ٢٤ —

آن لي أن أبدل اللفظة بالفعل ، وآن

ليَ أن أثبت حبي للثرى والقُبّرهْ
فالعصا تفترس القيثَار في هذا الزمان
وأنا أصفَرٌ في المرآة ،
مذ لاحت ورائي شجرهْ !

مشياً على الأقدام ،
أو زحفاً على الأيدي نعودُ
قالوا . .
وكان الصخر يضمر
والمساء يداً تقودُ . .
لم يعرفوا أن الطريق إلى الطريق
دمٌ ، ومصيدة ، وبيدُ

كل القوافل قبلهم غاصت ،
وكان النهر يبصق ضفّتيه
قطعاً من اللحم المفتّت ،
في وجوه العائدين
كانوا ثلاثة عائدين :
شيخ ، وابنته ، وجندي قديم
يقفون عند الجسر . .
(كان الجسر نعساناً ، وكان الليل قبّعةً .
وبعد دقائق يصلون ، هل في البيت ماء ؟ وتحسس
المفتاح ثم تلا من القرآن آية . . .)

قال الشيخ منتعشاً : وكم من منزل في الأرض
يألفه الفتى
قالت : ولكن المنازل يا أبي أطلالُ !
فأجاب : تبنيها يدانِ ..
ولم يتمَّ حديثه ، إذ صاح صوت في الطريق : تعالوا !
وتلته طقطقة البنادق ..
لن يمرَّ العائدون
حرس الحدود مرابطٌ
يحمي الحدود من الحنين
(أمرٌ بإطلاق الرصاص على الذي يجتاز
هذا الجسر . هذا الجسرُ مقصلةُ الذي رفض

التسول تحت ظل وكالة الغوث الجديده .
والموت بالمجان تحت الذل والأمطار ، منٍ
يرفضْه يقتلْ عند هذا الجسرِ ، هذا الجسر
مقصلة الذي ما زال يحلم بالوطن) .
الطلقة الأولى أزاحت عن جبين الليل
قبعة الظلام
والطلقة الأخرى . .
أصابت قلب جندي قديم .
والشيخ يأخذ كف ابنته ويتلو
همساً من القرآن سوره
وبلهجة كالحلم قال :

– عينا حبيبتيَ الصغيرهْ ،
ليَ ، يا جنود ، ووجهها القمحي لي
لا تقتلوها ، واقتلوني

(كانت مياه النهر أغزر . . فالذين رفضوا
هناك الموت بالمجان أعطوا النهر لوناً آخراً .
والجسر ، حين يصير تمثالاً ، سيصبغ – دون
ريب – بالظهيرة والدماء وخضرة الموت
المفاجىء) .
. . وبرغم أن القتل كالتدخين . .
لكنّ الجنود « الطيّبين » ،
الطالعين على فهارس دفترٍ . .

قذفته أمعاء السنين ،
لم يقتلوا الاثنين ..
كان الشيخ يسقط في مياه النهر ..
والبنتُ التي صارت يتيمه
كانت ممزقة الثياب ،
وطار عطر الياسمين
عن صدرها العاري الذي
ملأته رائحة الجريمه
والصمتُ خيّم مرة أخرى ،
وعاد النهر يبصق ضفّتيه
قطعاً من اللحم المفتّت

.. في وجوه العائدين
لم يعرفوا أن الطريق إلى الطريق
دم ومصيدة . ولم يعرف أحد
شيئاً عن النهر الذي
يمتص لحم النازحين
(والجسر يكبر كل يوم كالطريق ،
وهجرة الدم في مياه النهر تنحت من حصى
الوادي تماثيلاً لها لون النجوم ، ولسعة الذكرى ،
وطعم الحب حين يصير أكثر من عبادة) .

جواز سفر

لم يعرفوني في الظلال التي
تمتص لوني في جواز السفرْ
وكان جرحي عندهم معرضاً
لسائح يعشق جمع الصور
لم يعرفوني ، آه .. لا تتركي
كفي بلا شمسٍ ،
لأن الشجر

يعرفني ..
تعرفني كل أغاني المطر
لا تتركيني شاحباً كالقمر ! .

كلُّ العصافير التي لاحقتْ
كفي على باب المطار البعيد
كل حقول القمح ،
كل السجون ..
كل القبور البيض

كل الحدود ..
كل المناديل التي لوّحتْ
كل العيون
كانت معي ، لكنهم
قد أسقطوها من جواز السفر !

*

عارٍ من الاسم ، من الانتماءْ ؟
في تربة ربّيتها باليدينْ ؟
أيوب صاح اليوم ملء السماء :

لا تجعلوني عبرة مرتين !

يا سادتي ! يا سادتي الأنبياء
لا تسألوا الأشجار عن اسمها
لا تسألوا الوديان عن أُمها
من جبهتي ينشق سيف الضياء
ومن يدي ينبع ماء النهر
كل قلوب الناس .. جنسيتي
فلتسقطوا عني جواز السفر !

الرجل ذو الظل الاخضر

في ذكرى جمال عبد الناصر

نَعيشُ معكْ
نسير معك
نجوع معك
وحين تموت
نحاول ألاّ نموت معك !

ولكن ،

لماذا تموت بعيداً عن الماء
والنيل ملء يديكْ ؟
لماذا تموت بعيداً عن البرق
والبرق في شفتيك ؟
وأنت وعدت القبائلْ
برحلة صيف من الجاهلية
وأنت وعدت السلاسل
بنار الزنود القويهْ
وأنت وعدت المقاتل
بمعركة .. ترجع القادسيهْ

نرى صوتك الآن ملء الحناجرْ
زوابع
تلو
زوابع ..
نرى صدرك الآن متراس ثائر
ولافتة للشوارع
نراك
نراك
نراك ..
طويلاً
.. كسنبلة في الصعيد

جميلاً
.. كمصنع صهر الحديد
وحراً ..
كنافذة في قطار بعيد ..

ولستَ نبيّاً ،
ولكن ظلّك أخضر
أتذكر ؟
كيف جعلت ملامح وجهي
وكيف جعلت جبيني
وكيف جعلت اغترابي وموتيَ

أخضر
أخضر
أخضر ..
أتذكر وجهي القديم ؟
لقد كان وجهي يُحنَّط في متحف انجليزي
ويسقط في الجامع الأموي
متى يا رفيقي ؟
متى يا عزيزي ؟
متى نشتري صيدليهْ
بجرح الحسين .. ومجد أميّهْ
ونُبعث في سدّ أسوان خبزاً وماء

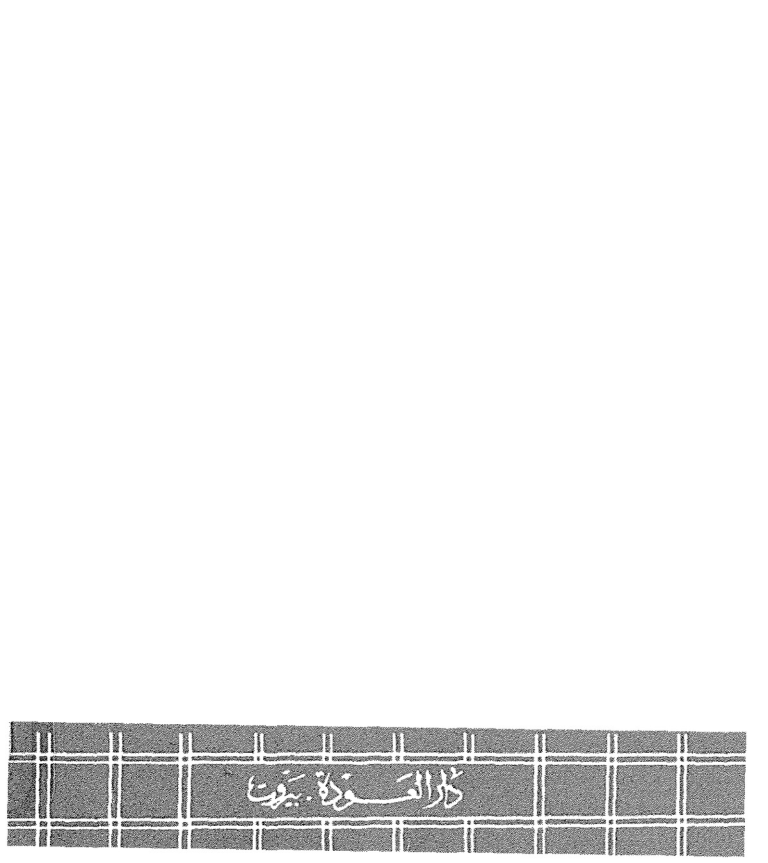
ومليون كيلواط من الكهرباء ؟
أتذكر ؟
كانت حضارتنا بدوياً جميل
يحاول أن يدرس الكيمياء
ويحلم تحت ظلال النخيل
بطائرة .. وبعشر نساء
ولست نبياً
ولكن ظلّك أخضر ..

نعيش معك
نسير معك

نجوع معك
وحين تموت
نحاول ألاّ نموت معك
ففوق ضريحك ينبت قمح جديد
وينزل ماء جديد
وأنت ترانا
نسير
نسير
نسير

(١٩٧٠)


الفهرس


دار العودة . بيروت